المحاضرة الرابعة: الكلمة عند اللغويين والمعجميين

1 ـ بين اللغويين والمعجميين في الدراسات الحديثة.

لقد أُلِّفت المعاجم القديمة لأغراض متباينة، غلب عليها الخوف من ذهاب اللغة بسبب تقادمها كما هو الحال في المعجم العربي التراثيّ، وفي العصر الحديث تمادت اللسانيات في التنظير للغة ووضع القواعد والقيود والنظريات، إلاّ أنّ المعجم لم يستطع مواكبتها، وهذا سبب وجيه للصراع، الذي تمظهر في:

ـــ عدم اهتمام المعجميين بالنظريات اللغوية، فهي مكلّفة،

ـــ تعالى علماء اللغة عن المعجم واعتبروه ملحقا من ملحقات النحو،

ـ والنتيجة اتّساع الهوّة بين الآراء التنظيرية في علم اللغة، وإمكانيات التطبيق على المعاجم.

الكلمة عند علماء اللّسانيات الغربية الحديثة.

انتقلت الكلمة في الدراسات الغربية الحديثة من الاهتمام بالمكتوب إلى اعتبار أنّها سلسلة من **الأصوات** وعنصر نحويّ ووحدة معنوية، فقد استقرّت بهذا على الجانب المنطوق.

ـ **بلومفيلد"** عرّف الكلمة بأنها "أصغر صيغة معزولة" وهي التي يحق لها أن تُفرد وتكون لبنة في التركيب، وهو تعريف لا ينطبق على جميع اللغات، لتباينها واختلافها في المبدأ والاستعمال (الضمائر أسماء الإشارة حروف الجر العطف في العربية لا تُستعمل منقطعة عن غيرها).

ترنكا فيرث: اعتمدا فكرة التقابل الاستبدالي الذي يقوم على مبدأ الصفات التمايزية في الكلمات وكلّ كلمة نستطيع استبدال بعض حروفها كفيل بإخراجها من معنًى لمعنى آخر يختلف تماما عن الأوّل.

فاندرياس إنّ اهتمامه بتقسيم الكلمة جعله يثور على تقسيم النحو التقليدي الذي أقرّه مناطقة اليونان، وجعل الكلمة في أربع خانات، وأقل ما يمكن أن يُقال في هذا السياق هو رفض عديد اللغات لهذا المبدأ لأنّه لا يتلاءم معها.

أندري مارتيني أخذ بفكرة المونيم والليكسيم، حيث جعل المونيم Monéme مصطلحا نحويا دالاّ على الوظيفة النحوية، ويكون اللّيكسيم Lexéme مصطلح دالاّ على الصيغة المعجمية

المعجمية العربية في اجتهاد اللغويين.

اغتنت العربية بألفاظها عن غيرها من الساميات، والسبب لا يبعد أن يكون حرص العرب على جمع المفردات خوفا من ذهاب اللغة، من آثار ذلك موّاد ومفردات لا نجدها في معاجم الساميات، فألفاظ شهور السنة الجاهلية **كواغل، وناجر، وناطل** أوردها المؤرّخون واستعان بها المستشرقون في تحليلاتهم.

ـ غريب ومجاز القرآن أساس للتأليف المعجمي في العربية.

بعد روايات ابن عبّاس كثرت الكتب المهتمة بشرح وتفسير ماغَمُض من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والمهتمون بغريب القرآن ومجازه هم رجال اللغة، أحصى منها العلماء:

ـ الغريب في القرآن لأبّان بن رباح الجريري، أبو سعيد البكري، ت 141هـ،

ـ غريب القرآن لمحمد بن السّائب الكلبيّ، ت 146 هـ، غريب القرآن لمؤرّج بن عمرو السّدوسيّ البصري ت 174 هـ، غريب القرآن للنضر بن شُميل، ت 203هـ،

ـ غريب القرآن للفراء يحي بن زياد، ت 216 هـ،

ـ غريب القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام، ت 224هـ،

ـ معاني القرآن لعلي بن حمزة الكسائي، ت 182هـ،

ـ معاني القرآن للأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة، ت216هـ،

ـ مجاز القرآن لقطرب محمد بن المستنير، ت 206هـ،

ـ مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنّى، ت210هـ.، وقد عُدَّ مُؤلّفه بحق " اللّبنة الأولى في الدراسة الدلالية.

ـ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة عبد الله بن مسلم الدينوري (213هـ، 276هـ)

دارت الكتب جميعها حول شرح وتوضيح وبسط ما غمُض من معاني القرآن الكريم، ومنه فهي جهود لغوية في الأساس، وهي تهيئة أساسية للمعجمية العربية."

ـــ المفردة في متون المؤلّفات اللّغوية العربية خلا المعاجم

احتفت الكتب والمصنّفات والمعاجم العربية بالمفردة (الكلمة، اللّفظة) احتفاءً لا نظير له، هناك أصناف أخرى من الكتب أدّت جانبا هاما من عمل المعجم لكنّها ليست معاجم في الأصل بل هي كتبٌ رصدت ظواهر متباينة واهتمت بجمع الألفاظ، مثل كتاب جواهر الألفاظ لقدامة بن جعفر البغداديّ (ت)، والإبدال لابن السكّيت (186هـ 244هـ)، كتاب فقه اللّغة وأسرار العربية للثعالبي، هذه الكتب على سبيل الذكر تناولت الألفاظ، لكن لكلٌّ كتاب طريقة وبغية من التأليف، بيّنت جهود خالصة للغويين.

إنّ طريقة معالجة الكلمات تختلف عن المعجميين، والفروق بين تلك المصنّفات، كلّ ذلك يوحي لنا بداءة بملامح التكامل المعرفي بين علماء العربية بمختلف أطيافهم، ورغبتهم في الإحاطة بكل شوارد العربية ودقائقها وأسرارها.

ـــ رواية اللغة جهود خالصة للغويين

كَثُر رواة اللغة وكان منهم فريق اختصّ في الجمع وعُرفوا بالرواة، تمكّن هؤلاء من ناصية التمييز الفطري للكلمات، وعُرِفوا في أوساط العلماء بالنزاهة والأمانة، فهي شروط للقبول، ورغم توارد أسماء لبعض المنتحلين، إلاّ أنّ هناك من ذُكِروا وصحّت رواياتهم اللغوية، تناقلتهم كتب الثقافة واللغة والأدب، ورد ذكرهم في مجالس العلماء لأبي إسحاق الزجّاجي منهم:

ـ أبو البيداء الرباحي وأبو ثروان العكلي اللّذان اتّخذا التعليم مهنة لهما،

ـ أبو مالك بن كركرة صاحب كتاب خلق الإنسان وكتاب الخيل،

أبو عرار وأبو زياد الكلابي صاحب كتاب النوادر، والإبل، وخلق الإنسان،

أبو ملحم الشيباني صاحب كتاب الأنواء والخيل وخلق الإنسان،

وأبو مهدية وأبو مسحل صاحب كتاب النوادر والغريب، والمعاني،

ـ أبو العميثل صاحب كتاب التشابه، والأبيات السائرة، لم يتقاضى هؤلاء شيئا في بداية عملهم ولكنّهم جعلوا من الرواية مهنة للتكسّب وقد أخذ عنهم اللّحياني غلام الكسائي وخلف الأحمر، وأبو عمرو بن العلاء الذي انتهت إليه عمادة الرواية في الربع الثاني من القرن الثاني للهجرة.